ظَاهِرَةُ الشُّرُوح فِي التُّرَاثِ العَرَبِي الإِسلَامِي

شروح السُّنن نموذجًا

محمد جمعة عبد الهادي موسى[1*]

مجلة الدليل للدراسات الإنسانية ـ دورية علمية محكمة ـ نصف سنوية

مجلة علمية متخصصة
في العلوم الاجتماعية والانسانية

يصدرها مركز الدليل للدراسات الاستراتيجية

جمهورية مصر العربية

العدد الخامس – المجلد الأول- ربيع أول 1439هـ - ديسمبر، 2017

(*) باحث دكتوراة في التاريخ الإسلامي.

بطاقة الفهرسة

مجلة الدليل للدراسات الإنسانية: دورية علمية محكمة؛ متخصصة في العلوم الاجتماعية والانسانية.

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية المصرية.

(24214)، **لسنة**: 2015م.

شروط النشر

المجلة تقبل النشر للموضوعات المعدة وفق القواعد العلمية المتعارفة عليها، وذات الصلة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية؛ بحيث لا تزيد حجم الدراسة عن عشرين ألف كلمة، ويتم تحكيمها تحكيماً علمياً سرياً؛ على أن يرفق الباحث سيرة ذاتية لا تزيد على صفحة واحدة.

المجلة غير مسؤولة عن الآراء الواردة بها، والبحوث المنشورة تعبر عن آراء أصحابها

12 **شارع حسن حمدي مساكن أعضاء هيئة التدريس – جامعة القاهرة**

الهاتف الأرضي: 0237278176 **الهاتف المحمول:** 01023755677 - 01124650883

المراسلات البريدية

hbeshir@yahoo.com – Alaysh86@yahoo.com

dallil-magazine@gmail.com

ظَاهِرَةُ الشُّرُوح فِي التُّرَاثِ العَرَبِي الإِسلَامِي

شروح السُّنن نموذجًا

محمد جمعة عبد الهادي موسى[1*]

مُقدمة:ـ

تميزت حركة التأليف في التراث العربي الإسلامي بظاهرة تستحق الدرس والتدقيق، وهي ظاهرة الشروح، وهي ظاهرة تنتمي إلى ظاهرتي التذييل والاختصار[2]، التي قد يقوم بها مؤلف الكتاب نفسه، أو يقوم بها مؤلف لاحقٌ. وقد نالت ظاهرة الشروح كتب التراث العربي الإسلامي بكافة علومه وخاصة العلوم الدينية من علوم القرآن والحديث والفقه، وأيضًا العلوم التطبيقية، كالطب والفلك وغيرها، إلا إنه نظرًا لتشعب الموضوع فسوف نقتصره على جانب من جوانب العلوم الدينية وهي ((السُّنن- كنموذج)).

(*) باحث دكتوراة في التاريخ الإسلامي.

(2) ومن شواهد هذه الظاهرة قيام المؤرخ والمحدث الشهير الحافظ شمس الدين الذهبي (ت748هـ) باختصار مؤلفه الكبير "تاريخ الإسلام" بمختصرين، أحدهما متوسط وهو كتاب "العِبَر في خبر من غَبَر"، والآخر صغير، وهو "دول الإسلام". ولما كان الكتاب الكبير ومختصره "العبرة" قد انتهيا بنهاية أخبار سنة 700هـ، وامتد العمر بمؤلفهما بعد انتهائه من تأليفهما؛ فإنه قام بنفسه بتأليف ذيل المختصر هو "ذيل العِبَر"، ومن الجدير بالذكر أن الذهبي وصل في ذيله على "العِبَر" عند سنة 740هـ، ثم جاء عالمان جليلان ذيلا عليه؛ وهما الشريف شمس الدين الحسيني (ت765هـ)، الذي انتهى في ذيله إلى سنة 764هـ، والحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت806هـ)، الذي انتهى في ذيله إلى سنة 763هـ، ومن المعروف أن ذيل الحسيني على ذيل "العِبَر" طُبع غير مرة". راجع أحمد عبد الستار: "المنتقى من الذيل على ذيل العِبَر للعراقي"، (مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، مج55، ج2، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م)، ص 69 -70.

لقد تناولت بحوث متعددة ظاهرة الشروح حول موضوعات متعدد من التراث العربي الإسلامي كاللغة، وحسبي أن أحدًا لم يتناول هذه الظاهرة على السنن بشكل مفصل على أقل تقدير فيما اتضح من استقراء المادة المنشورة عنها في "الببليوجرافيات المنشورة"؛ ومن ثم جاءت هذه الورقة المتواضعة والبسيطة لتتناول هذه الظاهرة في ضوء نماذج من السنن ويأتي على رأسها كتاب: "معالم السنن للخطابي"[1] (ت388هـ)، وسوف يتناول هذا الموضوع تحت مبحثين: الأول: ظهور المصنفات الحديثية، والثاني: دوافع الشروح، ثم نقدم تقرير جوهري حول هذه الظاهرة، والله المستعان ومنه الفضل والنعمة.

دراسات سابقة:ـ

- **"كتاب معالم السنن في شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي: تحقيق وتخريج ودراسة القسم الأول من بداية الكتاب إلى أول كتاب الجنائز"**، للباحث محمد علي فارح حسن، (رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين: قسم الكتاب والسنة، 1419هـ)، وهو النموذج الذي سنقف عليه، وقد تناول الباحث فيه ما حواه شرح الخطابي من مادة علمية غزيرة تمثلت في آرائه وتعقباته المتعلقة بالحديث والفقه واللغة العربية.
- **"الشروح الأندلسية للموطأ: دراسة تحليلة مقارنة" للباحث الجزائري الدكتور مصطفى حميدانو**[2]، وهذا البحث تناول بشكل مفصل هذه الظاهرة بالتطبيق على موطأ الإمام مالك داخل الأندلس فحسب؛ إلا أنه أسهب في موضوعات تناولت منهج كتب الشروح للموطأ دونما تفصيل لدوافع الشارح نفسه وهو ما نتعرض له بشكل تحليلي.
- **"الشروح والحاشية في التراث العربي الإسلامي: مخطوط شرح التفتازاني على النسفي نموذجًا"**، للباحث السوري دكتور عبد الإله نبهان[3]، وهذه الدراسة جاءت في اللغة، وتناول الباحث فيها تقارير في غاية الأهمية التي تتناول ظاهرة الشروح اللغوية، وقد استفدت منها في كيفية العرض المبحثي.

---

(1) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت388هـ): معالم السُّنن (وهو شرح سنن أبي دواد وأقدمها)، المطبعة العلمية، حلب، ط1، (1351هـ/1932م).

(2) (مجلة أفاق الثقافة والتراث دولة الإمارات العربية المتحدة، (1 يناير، 2010م)، العدد: 68، ص ص 6- 22).

(3) (مجلة التراث العربي، سوريا، (1 أبريل، 2007م)، العدد: 106، ص ص 106- 116).

المبحث الأول

ظهور المصنفات الحديثية

تنوعت المصنَّفاتُ الحديثية منذ طَورْ التدوين الرسمي للحديث، على رأس المائة للهجرة بأمر عمرَ بنِ عبد العزيز، الذي كانت غايته الأولى جْمعَ الحديث النبوي، خوفًا من دُروس العلم وذهاب العلماء[1]، إلى أشكال متعددة، لا تنفك عن الغاية الأولى، ولكنها تضيف إليها ما يقرب النظر فيه، ويعين على فهم مواطن الاستدلال منه، من خلال الترتيب على أسماء الصحابة، أو الأبواب، أو الشيوخ، أو غير ذلك.

وظهرت منذ منتصف القرن الثاني الهجري أنواع مختلفة من التآليف الحديثية، كالمصنفات والجوامع، والموطّآت؛ بوّبَت الأحاديث وعنونَتْها، لكنها مزجت أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– بأقوال الصحابة والتابعين. ثم ابتكر العلماء في أوائل القرن الثالث الهجري مصنفات أسموها المسانيد، أهملت التبويب، لكنها أفردت الحديث النبوي بالتصنيف، مُرتَّبًا بحسب أسماء رُواته من الصحابة. ثم رأى البخاري (ت 256هـ) إفراد الحديث المرفوع الصحيح بالتصنيف تبعا للأبواب، وتبعه في ذلك تلميذه مسلم بن الحجاج (ت 261هـ)، غير أنه لم يفصح عن أسماء الأبواب؛ تجريدًا لأحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن غيرها من الكلام[2].

تبع البخاري –رحمه الله– في ذلك أصحاب السُّنن، إلا أنهم لم يشترطوا الصحة، بل قصدوا ذكر الأصول الحديثية لمسائل الفقهاء حتى ولو كانت ضعيفة، كما قال أبو داود (ت 275هـ): "وَأما هَذِه الْمسَائِل مسَائِل الثَّوْريّ وَمَالك وَالشَّافِعِيّ فَهَذِهِ الْأَحَادِيث أُصُولهَا"[3]، وهو ما يوحي به عنوان كتاب الترمذي (ت 279هـ)" "الجامع المختصر من السنن عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل". وكذلك

---

(1) بشار عواد معروف: الذهبي ومنهجة في كتابه تاريخ الإسلام، عيسى البابي الحلبي، جامعة بغداد، ط1، (1976م)، ص 15.

(2) جدير بالإشارة "أَن مُسلمًا رتب كِتَابه على الْأَبْوَاب فَهُوَ مبوب فِي الْحَقِيقَة وَلكنه لم يذكر فِيهِ تراجم الْأَبْوَاب لِئَلَّا يزْدَاد بهَا حجم الْكتاب أَو لغير ذَلِك". ابن الصلاح (ت643هـ): صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1408هـ، ص 103.

(3) أبو داود (ت275هـ): رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه، تحقيق: محمد الصباغ، دار العربية، بيروت، (د.ت)، ص 28.

سار النَّسائي (ت303هـ) في سننه على طريقة دقيقة تجمع بين الفقه وفن الإسناد[1]، ومما أثنى به ابنُ كثير (ت 774هـ) على "سنن ابن ماجة" أنه قوي التبويب في الفقه[2].

ثم رأى بعضهم أن يُرتب الأحاديث تبعا للترتيب الألِفبائي لأسماء شيوخع الذين أخذ عنهم؛ فكان "المعجم الأوسط"، و"الصغير" للطبراني (ت 360هـ)، ويشبه إلى حد ما ما يسمى بالمشيخات[3]، إلا أن المعاجم وضعت من أجل الأحاديث، أما المشيخات فوضعت من أجل الشيوخ. وكانت أول بوادر خدمة التصانيف الحديثية السابقة: "الجمع بين بعض الأصول الحديثية"[4]، ثم ما يسمى بـ"المستدركات"[5]، و"المستخرجات على الصحيحين"[6]، ثم كانت كتب "الأطراف"[1]، و"التخريج"[2]، و"الزوائد"[3]، وغيرها، فما فما بقي من التدوين والرواية غير "الشروح"، فظهرت.

(1) نور الدين محمد عتر الحلبي: منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، (1418هـ/1997م)، ص 277.

(2) ابن كثير (ت774هـ): اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، (د.ت)، ص 241.

(3) قال الكتاني (ت 1345هـ): "كتب المشيخات: هي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم". الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، ط6، (1421هـ/2000م)، ص 40.

(4) مثل: "لجمع بين الصحيحين: صحيح البخاري، وصحيح مسلم". للإمام، أبي محمد: حسين بن مسعود الفراء، البغوي (ت 516هـ)، وللإمام، أبي بكر النيسابوري (ت 388هـ). حاجي خليفة (ت 1067هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، 1941م، ج1 ص 599.

(5) مثل: (المستدرك على الصحيحين) للحاكم (ت405هـ)؛ حيث "اعتنى في المستدرك بضبط الزائد عليهما مما هو على شرطهما أو شرط أحدهما، أو صحيح، وإن لم يوجد شرط أحدهما، معبرا عن الأول بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، أو على شرط البخاري أو مسلم، وعن الثاني بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد، وربما أورد فيه ما هو في الصحيحين، وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منبها على ذلك، (وهو متساهل) في التصحيح". السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ): تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، (د.ت)، ج1 ص 112.

(6) وَالِاسْتِخْرَاجُ أن يعمد حافظ إلى صحيح البخاري مثلا، فيورد أحاديثه حديثا حديثا بأسانيد لنفسه، غير ملتزم فيها ثقة الرواة، وإن شذ بعضهم حيث جعله شرطا، من غير طريق البخاري إلى أن يلتق معه في شيخه، أو في شيخ شيخه، وهكذا ولو في الصحابي كما صرح به بعضهم. السخاوي (ت902هـ): فتح المغيث بشرح

المبحث الثاني

دوافع شروح السنن – معالم السنن وموطأ مالك نموذجًا

– **النموذج الأول: معالم السنن للخطابي (ت388هـ):-**

ومن نماذج الشروح التي بين أيدينا: كتاب (معالم السُّنن) لأبي سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم الخطَّابي (ت 388هـ)، وهو يُعد أقدم شروح السُّنن وأجلّها، وقد اعتمد فيه على رواية ابن داسَةَ البصري عن أبي داود (ت275هـ)؛ إذ هو تلميذ ابن داسَةَ.

كما يعتبر كتاب معالم السنن مرجعا هاما في شرح أحاديث الأحكام، والكلام عليها، وذكر المسائل الفقهية المتعلقة بها(4).

عاش الخطابي في أواخر القرن العقد الثاني من القرن الرابع الهجري، أي في العصر العباسي الثاني (232-656هـ)؛ أي في فترة عدها المؤرخون من الفترات المضطربة في العالم الإسلامي آنذاك، نتيجة لضعف الخلافة؛ لازدياد نفوذ الأنراك في الدولة العباسية؛ فعاصر

ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط1، (1424هـ/2003م)، ج1 ص 57، السيوطي: تدريب الراوي، ج1 ص 117.

وهنالك من استخرج على "الصحيحين" معًا كأبي نُعيم الأصبهاني (ت430هـ)، وغيره، ومن استخرج على "صحيح البخاري" فقط، كأبي بكر بن مَرْدَوَيْة (ت416هـ)، وغيره، ومن استخرج على "صحيح مسلم" فقط، كأبي عوانة الأسفرييني (ت316هـ)، وغيره. وقد عنون السيوطي رحمه الله لذلك تحت (الكتب المخرجة على الصحيحين). تدريب الراوي، ج1 ص 117.

(1) هي كتبٌ يقتصر مؤلفوها على ذكر طرف الحديث الدالُ عليه، ثم ذكر أسانيده، وأشهرها "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف" للمزي (ت742هـ)، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، الدار القيمة، ط2، (1403هـ/1983م)، قةد جمع فيه أطراف الكتب الستة وبعض ملحقاتها؛ حيث يقول في مقدمته: "فإني عزمت على أن أجمع في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى أطراف الكتب الستة التي هي عمدة أهل الإسلام وعليها مدار عامة الأحكام"، ج1 ص3.

(2) هي كتب تُؤلف لتخريج أحاديث كتاب معين، وأشهرها "نصب الراية لأحاديث الهداية" لجمال الدين الزيلعي (ت 762هـ)، خرج فيه أحاديث "الهداية"، في الفقه الحنفي للمرغيناني (ت 593هـ).

(3) هي كتب تجمع الأحاديث الزائدة في بعض كتب الحديث على أحاديث كتب اخرى ك "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" للهيثمي (ت807هـ)، جمع فيه الزيادة من مسند أحمد وأبي يعلى والبزار ومعاجم الطبراني الثلاثة على الكتب الستة وبيَّن أحوالها.

(4) محمد علي فارح حسن: كتاب معالم السنن في شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي: تحقيق وتخريج ودراسة القسم الأول من بداية الكتاب إلى أول كتاب الجنائز"، (رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين: قسم الكتاب والسنة، 1419هـ)، ص أ.

الخطابي من الخلفاء العباسيين ثمانية؛ هم: المقتدر بالله، والقاهرة بالله، الراضي بالله، المتقي لله، المستكفي بالله، المطيع لله، الطائع لله، القادر بالله.

وعلى الرغم من انحطاط الحالة السياسية واضطرابها في العالم الإسلامي في ذلك العصر، ورغم سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية؛ إلا أن الحياة العلمية كانت مزدهرة في هذا القرن، إذ هيأ الله فيه علماء موهوبين في شتى الاختصاصات العلمية شمرو عن ساعد الجد، ولم يتأثروا بالحياة السياسية، ونهضوا بالحركة العلمية إلى أوج عظمتها؛ فكثرت المدارس العلمية والمكتبات، وظهرت المؤلفات في شتى الميادين والاختصاصات[1].

وما من شك أن مقومات الشارح شكلت جانبًا مهمًا أعانته على تقديم هذا الشرح؛ فالخطابي كان كما ذكر أبو منصور الثعالبي "يشبه أبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علما وأدبا وزهدًا وتدريسًا وتأليفًا"، "كما عرف عنه رحمه الله بالأخلاق الفاضلة وحسن التعامل مع الناس"[2]. وبعد أن أخذ أبو سليمان الخطابي عن علماء بلده، رحل إلى طلب العلم؛ فذهب إلى مكة وأقام فيها[3]، ثم رحل إلى العراق وتلقى العلوم ببغداد والبصرة[4]، ثم عاد إلى خراسان، وأقام بنيسابور سنين، وحدث بها وكثرت الفوائد من علومه، كما زار البخاري، ثم خرج إلى ما وراء النهر، وانتهى به الأمر إلى بست موطنه الأصلي. يقول يقوت الحموي: "رحل في طلب الحديث، وطوف وألف في فنون من العلم، وصنف"[5]، ومنها معالم السنن التي بين أيدينا.

---

(1) المرجع السابق، ص 12.

(2) يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، (1403هـ/1983م)، ج 4 ص 383.

(3) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (1413هـ)، ج3 ص 282.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، (1427هـ/206م)، ج 17 ص 23.

(5) معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، (1414هـ/1993م)، ج4 ص 252 – 253.

بدأ الخطابي شرحه بخُطبةٍ بيّن فيها أنه ألّفه نزولا عند طلب بعض إخوانه، وأشار إلى خطته فيه ومنهجه[1]، فقال: "فقد فهمت مساءلتكم إخواني أكرمكم الله، وما طلبتموه من:-

[1] **تفسير** كتاب السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث (ت275هـ).

[2] **وإيضاح** ما يُشكل من متون ألفاظه.

[3] **وشرح** ما يستغلق من معانيه.

[4] **وبيان** وجوه أحكامه.

[5] **والدلالة** على مواضع الانتزاع والاستنباط من أحاديثه.

[6] **والكشف** عن معاني الفقه المنطوية في ضمنها لتستفيدوا إلى ظاهر الرواية لها باطن العلم والدراية بها.

كما تتجلى دوافع الشروح المهمة التي دعت المؤلف إلى الشرح في "الندب للأمر المهم"؛ ويتأكد ذلك في قول الخطابي: "وقد رأيت الذي ندبتموني له وسألتمونيه من ذلك أمراً لا يسعني تركه كما لا يسعكم جهله، ولا يجوز لي كتمانه كما لا يجوز لكم إغفاله وإهماله فقد عاد الدين غريباً كما بدأ وعاد هذا الشأن دارسة أعلامه خاوية أطلاله وأصبحت رباعه مهجورة ومسالك طرقه مجهولة"[2]. والعبارة متجلية لا تحتاج إلى إيضاح؛ فهي تبين دوافع أخرى للشروح في قوله: " الذي ندبتموني له "؛ والندب لغة: الدعاء لمهم، ويطلق أيضا على الطلب، والتأثير. قال المرداوي: "المندوب لغة: المدعو لمهم"[3].

وهكذا جاء الخطابي بدواعي إقباله على شرح سنن أبي داود، وقد وضعنا لها أرقامًا لتتبين وتتضح بما يُظهرها في شكل عناصر ذات نقاط، وقد جاءت النقاط جلية حتى بألفاظها: تفسير، وإيضاح، وشرح، وبيان، ودلالة، وكشف، فهذه هي دوافع أقدم شروح السنن؛ التي تناولها الخطابي في كتابه معالم السنن بشكل متنوع في مواضع عدة من كتابه.

---

(1) زياد عبد الوهاب أوزون: سنن أبي داود: مكانتها، وشرطها، ورواياتها، وشروحها، (مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، مج55، ج2، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م)، ص 115 – 116.

(2) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت388هـ): معالم السُّنن (وهو شرح سنن أبي دواد)، المطبعة العلمية، حلب، ط1، (1351هـ/1932م)، ص 2.

(3) التحبير (2/ 976).

وقد دلت العبارات على شرحه في ذلك؛ بقوله: "فهذا تفسير الوسق"(1)، "وأما تفسير أسنان الفرائض المذكورة في هذا الحديث فإن ..."(2)، "قلت يقال في تفسير الماعون أنه .."(3)، "قلت تفسير هذه الحروف عند أهل اللغة"(4)، "وفي هذا الباب ألفاظ يحتاج إلى تفسير وشرح منها، ..."(5). وغيرها من العبارات التي تؤكد أغراض الخطابي في الشرح.

ومن جهة أخرى فإن بواعث شرح سنن أبي داواد عند الخطابي تنبعث أيضًا من أهميتها من كونها أحد الأصول الحديثية السِّتة، التي جمعت أكثر الأحاديث الصحيحة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وعلى الرغم من أن أبا داود لم يشترط الاقتصار على ما صح من الحديث إلا أنه – كشأن سائر مُصنِّفي السُّنن– جمع أحاديث الأحكام المرفوعة مرتبة على أبواب الفقه(6)، وزاد على ذلك باستيعابه لمواضيعها، بما لم يُسبَقْ إليه، ولم يُلحَقْ فيه.

قال الخطابي (ت388هـ) في "معالم السنن": "وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدما سبقه إليه ولا متأخرا لحقه فيه وقد كتبت لكم فيما أمليت من تفسيرها وأوضحته من وجوهها ومعانيها وذكر أقاويل العلماء واختلافهم فيها علما جما فكونوا به سعداء نفعنا الله تعالى وإياكم برحمته"(7).

- **النموذج الثاني**: **الموطأ**:ـ

وإذا ما تعرضنا على عمل علمي جامع بين الشرح والاختصار معًا، لن نجد خير من **كتاب "الموطأ" في الحديث**، للإمام مالك بن أنس الحميري، الأصبحي، المدني، إمام الهجرة، المتوفى سنة (179هـ)، وهو كتاب قديم، مبارك، قصدَ فيهِ جمعَ الصحيحِ، لكنْ إنما جمعَ الصحيحَ عندهُ، لا الصحيحَ الذي عرفناهُ؛ لأنه يرى المراسيلَ والبلاغاتِ صحيحةً، فيوردها

(1) معالم السنن (2/ 13).

(2) معالم السنن (2/ 28).

(3) معالم السنن (2/ 73).

(4) معالم السنن (2/ 231).

(5) معالم السنن (3/ 96).

(6) الكتاني (ت 1345هـ): الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ص 40.

(7) ج1 ص 8.

مواردَ الاحتجاجِ، والصحيحُ الذي سلفَ تعريفهُ مشروطٌ فيهِ الاتصالُ[1]. **وقد (شرحه)**: أبو محمد، عبد الله بن محمد النحوي، البطليوسي (ت 521هـ)، وأبو مروان، عبد الملك بن حبيب المالكي (ت 239هـ)، والشيخ، جلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، ووسمَّاه: (كشف المغطا، في شرح الموطا). وصنف: الحافظ، أبو عمر، ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463هـ) كتابًا سماه: (التفضي بحديث الموطأ)، وله: كتاب (التمهيد، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، قال ابن حزم: هو كتاب في الفقه، والحديث، ولا أعلم نظيره. و**(اختصره)**، وسمَّاه: (الاستذكار)[2].

وهنالك من تعرض لشرح لموطأ أكثر من مرة، من ذلك شرحي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت474هـ)؛ حيث شرح الموطأ مرتان، شرحه الأول سماه: (المنتقى)، ثم شرحه مرة ثانية وسماه: (الاستيفاء، في شرح الموطأ)[3].

قلت: وهو من النماذج التي تتضح فيا دواعي الشروح مرة بعد أخرى، وندرك مقاصد ذلك الشرح من مقدمة الباجي (ت474هـ) في شرحه المسمى (المنتقى شرح الموطإ)؛ حيث يقول: "وفقنا الله وإياك لما يرضيه فإنك ذكرت أن الكتاب الذي ألفت في شرح الموطأ المترجم بكتاب "الاستيفاء" –يقصد كتابه–

[1] يتعذر على أكثر الناس جمعه ويبعد عنهم درسه لا سيما لمن لم يتقدم له في هذا العلم نظر ولا تبين له فيه بعد أثر فإن نظره فيه يبلد خاطره ويحيره ولكثرة مسائله ومعانيه يمنع تحفظه وفهمه. وإنما هو لمن رسخ في العلم وتحقق بالفهم ورغبت أن أقتصر فيه على الكلام في معاني ما يتضمنه ذلك الكتاب من الأحاديث والفقه وأصل ذلك من المسائل بما يتعلق بها في أصل كتاب الموطأ ليكون:

[2] شرحًا له،

[3] وتنبيهًا على ما يستخرج من المسائل منه،

---

(1) برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي: النكت الوفية بما في شرح الألفية، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، (1428هـ/2007م)، ج1 ص 110.

(2) مطبوع من تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421هـ/2000م)

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2 ص 1908.

[4] ويشير إلى الاستدلال على تلك المسائل والمعاني التي يجمعها وينصها ما يخف ويقرب ليكون ذلك حظ من ابتدأ بالنظر في هذه الطريقة من "كتاب الاستيفاء" إن أراد الاقتصار عليه وعونا له إن طمحت همته إليه"(1).

ثم هو يذكر ما جاء في شرحه الثاني مختلفًا عما ورد في شرحه الأول، فيقول: "وقد قدمت في الكتاب المذكور ما لا أخلي هذا الكتاب من حرف من ذكره وذلك أن فتوى المفتي في المسائل وكلامه عليها وشرحه لها إنما هو بحسب ما يوفقه الله تعالى إليه ويعينه عليه وقد يرى الصواب في قول من الأقوال في وقت ويراه خطأ في وقت آخر ولذلك يختلف قول العالم الواحد في المسألة الواحدة فلا يعتقد الناظر في كتابي أن ما أوردته من الشرح والتأويل والقياس والتنظير طريقه القطع عندي حتى أعيب من خالفها وأذم من رأى غيره. وإنما هو مبلغ اجتهادي وما أدى إليه نظري وأما فائدة إثباتي له فتبيين منهج النظر والاستدلال والإرشاد إلى طريق الاختبار والاعتبار فمن كان من أهل هذا الشأن فله أن ينظر في ذلك ويعمل بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده من وفاق ما قلته أو خلافه ومن لم يكن نال هذه الدرجة فليجعل ما ضمنته كتابي هذا سلما إليها وعونا عليها والله ولي التوفيق والهادي إلى سبيل الرشاد وهو حسبنا ونعم الوكيل"(2).

الخاتمة

نستطيع الآن الوقوف على الأسباب الجوهرية لظهور الشروح، وهي:

أولا: تفسير وإيضاح ما يُشكل بالمتون من الألفاظ، وشرح ما يستغلق من معانيه، وبيان وجوه أحكامه، والدلالة على مواضع الانتزاع والاستنباط بما ورد فيه من أحاديثه (كما هو عند الخطابي في شرحه لسنن أبي داود).

ثانيًا: شرح ما "يتعذر على الناس جمعه ويبعد عنهم درسه لا سيما لمن لم يتقدم له في هذا العلم نظر ولا تبين له فيه بعد أثر فإن نظره فيه يبلد خاطره ويحيره ولكثرة مسائله ومعانيه يمنع تحفظه وفهمه ... شرحًا له، وتنبيهًا على ما يستخرج من المسائل منه، والإشارة إلى الاستدلال على تلك المسائل والمعاني التي يجمعها وينصها ما يخف ويقرب.(كما هو عند الباجي في شرحه للموطأ).

(1) الباجي الأندلسي (ت474هـ): المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، ط1، 1332هـ، (صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: الثانية، بدون تاريخ)، ج1 ص 2-3.
(2) نفس المصدر، ج1 ص 2-3.

مكتبة البحث: المصادر والمراجع

أولا: المصادر:ـ

1. **ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت643هـ):** صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1408هـ، ص 103.
2. **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ):** اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، (د.ت).
3. **أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت474هـ):** المنتقى شرح الموطإ، مطبعة السعادة، ط1، 1332هـ، (صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ).
4. **أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت275هـ):** رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه، تحقيق: محمد الصباغ، دار العربية، بيروت، (د.ت)، ص 28.
5. **برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي:** النكت الوفية بما في شرح الألفية، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، (1428هـ/2007م)، ج1 ص 110.
6. **جمال الدين الزيلعي (ت 762هـ):** " نصب الراية لأحاديث الهداية وبغية الألمعي في تخريج الزيلعي"، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة الريان - المكتبة المكية، (د.ت).
7. **حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت 1067هـ):** كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة

المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، 1941م.

8. **الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت388هـ):** معالم السُّنن (وهو شرح سنن أبي دواد)، المطبعة العلمية، حلب، ط1، (1351هـ/1932م).

9. **السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت902هـ):** فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط1، (1424هـ/2003م).

10. **السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ):** تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، (د.ت).

11. **الكتاني، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (ت 1345هـ):** "كتب المشيخات: هي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم". الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، ط6، (1421هـ/2000م).

12. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، ط6، (1421هـ/2000م).

13. **المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت 742هـ):** "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، الدار القيمة، ط2، (1403هـ/1983م).

14. نور الدين محمد عتر الحلبي: منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، (1418هـ/1997م).

ثانيًا: المراجع:ـ

1. **بشار عواد معروف:** الذهبي ومنهجة في كتابه تاريخ الإسلام، عيسى البابي الحلبي، جامعة بغداد، ط1، (1976م).

ثالثًا: الرسائل:ـ

2. **محمد علي فارح حسن:** كتاب معالم السنن في شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي: تحقيق وتخريج ودراسة القسم الأول من بداية الكتاب إلى أول كتاب الجنائز"، (رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين: قسم الكتاب والسنة، 1419هـ)، ص أ.

رابعًا: الدوريات:ـ

3. **أحمد عبد الستار:** المنتقى من "الذيل على ذيل العِبَر للعراقي"، (مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، مج55، ج2، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م)، ص 69 -70.
4. **زياد عبد الوهاب أوزون:** سنن أبي داود: مكانتها، وشرطها، ورواياتها، وشروحها، (مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، مج55، ج2، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م)، ص 115 – 116.
5. **مصطفى حميدانو:** "الشروح الأندلسية للموطأ: دراسة تحليلية مقارنة"، (مجلة أفاق الثقافة والتراث دولة الإمارات العربية المتحدة، (1 يناير، 2010م)، العدد: 68، ص ص 6-22).
6. **عبد الإله نبهان:** "الشروح والحاشية في التراث العربي الإسلامي: مخطوط شرح التفتازاني على النسفي نموذجًا"، (مجلة التراث العربي، سوريا، (1 أبريل، 2007م)، العدد: 106، ص ص 106– 116).

تمت بحمد الله تعالى